«مفاوضات متقطعة وأطراف لا تريد حلاً سريعًا»
"ناجورني قره باخ.. إقليم يبحث عن هوية وسط تنازع دولي وتداخل في المصالح"

عـــلاء فـــاروق
باحث في شئون آسيا الوسطى

ملخص: «مفاوضات متقطعة يتحكم فيها أطراف غير مباشرة»... بهذه الجملة يمكن أن نصف العملية التفاوضية التي تتم الآن بين جمهوريتي أرمينيا وأذربيجان – وكلاهما إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، ويظهر من سياق التفاوض ان الاطراف الغير مباشرة متمثلة في روسيا وتركيا ومجموعة مينسك لا تريد حلا سريعا للقضية مسار التفاوض وهي اقليم قره باخ الذي يبحث عن هوية واستقرار، في حين تبحث الأطراف الاخرى إلى مصالح وتسوية نزاعات خاصة بها، بل ربما تواجدت بعض الأطراف لتصفية حساباتها مع المجتمع الدولي خلال هذه القضية، على اية حال تعد المفاوضات بين باكو ويريفان إحدى عمليات التفاوض الدولي الشائكة والتي تحتاج إلى عدة أبحاث سواء من المشتغلين بالعلاقات الدولية – وخاصة دارسي علم التفاوض – أومن السياسيين وحتى دارسي عل م الاجتماع لما لحالة الصراع من تأثير على بنية الاقليم، وفي هذه الورقة البحثية أحاول ان اضع نفسي في سياق العملية التفاوضية الخاصة بالاقليم مستنتجا بعض الامور من المباحثات المتقطعة بين الطرفين ومجتهدا في تقديم وجهة نظر حول تسريع العملية التفاوضية معتمدا على ما درسته في علم التفاوض وخاصة الخيال التفاوضي.

إقليم قره باغ منطقةٌ جبلية عائدة حقوقيا لأذربيجان، وفعليا هو جمهوريةٌ منفصلة معظم سكانها من الأرمن، وتعود جذور الأزمة بين جمهوريتي أرمينيا وأذربيجان إلى نشوء توتر في المنطقة عام 1988 عندما وقعت اشتباكات اثنية وحصل نهب وسلب وتهجير، وتجددت الأزمة إبان انهيار الاتحاد السوفيتي في عام 1991 وبعدها أعلن سكان قره باغ استقلالهم عن أذربيجان، وبعد شهرين من ذلك التاريخ طلبت السلطات في قره باغ الوحدة مع أرمينيا وهو ما أثار موجة من الغضب لدى الأذريين وأدّى إلى اندلاع نزاع مسلح أسفر عن مقتل ما يقارب الـ30 ألف شخص من الطرفين فيما تحول زهاء مليون شخص إلى لاجئين. واستمرت الحرب سجالًا حتى مايو 1994 حيث وقّع ممثلو أذربيجان وجمهورية قره باغ وأرمينيا، بوساطة روسيّة، اتفاقية وقف اطلاق النار التي لا تزال سارية المفعول حتى اليوم، والمشهد الحالي للوضع في الاقليم كالتالي:القوات الأرمنية تسيطر على 20 ٪ تقريبا من الأراضي الأذربيجانية بالإضافة إلى ما يسمى «بالشريط الأمني»، وهو ما تعتبره أذربيجان احتلال فعلى لهذه

رؤية تركية
2013 - 5
120 - 111

الأراضي، مشترطة مغادرة هذه القوات حتى يتم حل النزاع سلميا وهو ما ترفضه أرمينيا مؤكدة ان الاقليم هو الذي يريد هذا، وهو ما جعل المباحثات والمفاوضات تدخل في نفق مظلم يظهر فيه ضوء «روسي» خافت من وقت لآخر، وفي عام 2005 اتخذت الجمعية البرلمانية لمجلس أوروبا قرار رقم 1416 حول النزاع في قره باغ وهو يشير إلى واقع استيلاء أرمينيا على الأراضي الأذربيجانية ويتضمن مقترحات بشأن تسوية النزاع، وتجري مفاوضات السلام بين البلدين عن طريق منظمة الأمن والتعاون في أوروبا – التي تتناوب على رئاستها كل من روسيا وفرنسا والولايات المتحدة الأميركية، لكن العملية التفاوضية تشهد تعثر بعض الشيء سببه تعنّت كلا الجانبين الأرمني والأذربيجاني – حسب بيان المنظمة والذي ذكر ان مواقف الطرفين من بعض المبادئ الصعبة في التسوية ظلّت كما كانت عليه رغم المناقشة المكثّفة.

إقليـــم ناجورنو قرة باغ، هو أرضـــ أذربيجانية استولـــت عليهـــا القوات الأرمينيـــة بعد حربٍ استمرت ما بين العام 1988م، والعام 1994م

عناصر البحث:

تاريخ القضية:

وبالنسبة لطبيعة الصراع على الاقليم هناك من اعتبره نزاعا عرقيا، فيما رآه آخرون صراعًا دينيًا بين المسيحية الأرمنية والإسلام، لكن يبدو أن أصح هذه التوصيفات ما كتبه البعض أنّ النزاع يمثل تنازعًا بين مبدأين أساسيين في القانون الدولي، هما «السيادة الإقليمية» و«حق تقرير المصير»، ويغذيه خلاف حول الهوية التاريخية للإقليم، إذ يؤكد الأرمن أنه كان جزءًا من مملكتهم القديمة، فيما يشدد الأذريون على أنه انتُزع من أجدادهم الألبان القوقازيين.

معلومات حول الاقليم:

إقليم ناجورنو قرة باغ، هو أرض أذربيجانية استولت عليها القوات الأرمينية بعد حربٍ استمرت ما بين العام 1988م، والعام 1994م، ويعني اسم الإقليم في الأصل جبال الحديقة السوداء؛ حيث تعني كلمة «ناجورنو» أو «ناجورني» باللغة الروسية «جبال» أو «مرتفعات» أمَّا كلمة «قرة باغ» فتعني الحديقة السوداء.

وللإقليم مسمًّى آخر في اللغة الأرمينية؛ حيث يسمى بإقليم «أرتساخ» ويعود معناه إلى إلهٍ وثنيٍّ لدى الأرمن، أما الأذريون فيعرفون الإقليم باسم «بخاري قرة باغ» أي «الحديقة السوداء العليا»، ويقع الإقليم في قلب الأراضي الأذربيجانية، وعاصمته الحالية «ستباناكيرت»، نسبة للزعيم الأرمني الشيوعي «ستيبان شوماهان»، وله عاصمة أخرى قديمة، إبان تبعيته لأذربيجان، وهي مدينة شوشا، وتبلغ مساحة الإقليم 4800 كيلومتر مربع، ويبعد عن العاصمة الأذربيجانية «باكو» حوالي 270 كيلومترًا إلى الغرب.

ويغلب على الإقليم الطبيعة الجبلية كما توجد بعض الأنهار التي يُستخدم ماؤها في إنتاج الكهرباء والري، وهو إقليم فقير

مجلس الأمن ومناقشات عديدة لم تنجح في استقرار الإقليم

في موارده الاقتصادية، ويعتمد النشاط الاقتصادي على الزراعة وتربية المواشي وبعض الصناعات الغذائية، من المحاصيل المشهورة: الحبوب والقطن والتبغ.

وبالرغم من أنَّ الإقليم يقع في الأراضي الأذرية، إلا أن بفعل السياسات السوفيتية، وبعد احتلال أرمينيا له، أصبح 95 ٪ من تعداد سكان الإقليم البالغين حوالي 145 ألفًا، من الأرمن.

وقد كان الإقليم تاريخيًّا نقطة تاريخية ثرية؛ حيث شهد صدام عددٍ من الإمبراطوريات، من بينها الإمبراطورية الروسية والعثمانية والفارسية، وهو ما كان له دورٌ كبيرٌ في تغيير التركيبة السكانية للإقليم كل فترة.

وتعود جذور أزمة الإقليم، إلى قرارات الزعيم السوفيتي الراحل جوزيف ستالين؛ حيث قام ستالين بتطبيق سياسته في تهجير الإثنيات المختلفة، كما فعل في الشيشان، فقامت السلطات السوفيتية في العام 1923م بضم الأقلية الأرمينية إلى داخل حدود أذربيجان، وفي حدودٍ إداريةٍ جعلت الأقلية الأرمينية محاطةً بأقاليمٍ أذرية من كل النواحي، في المقابل وضع الأقلية الأذربيجانية في أرمينيا في إقليم ناختشيفان المعزول عن جذورهم الأذرية المسلمة، داخل جمهورية أرمينيا.

وقد مُنِحَ الإقليم صلاحية الحكم الذاتي داخل جمهورية أذربيجان، وظل هذا الوضع قائمًا من دون مشكلاتٍ في ظل الحكم الحديدي للحزب الشيوعي السوفيتي حتى عهد الزعيم السوفيتي ميخائيل جورباتشوف، الذي خفف من قبضة الحكم المركزي في موسكو.

وفي فبراير من العام 1988م، طلب المجلس السوفيتي القره باغي من موسكو انضمام إقليم ناجورنو قرة باغ إلى أرمينيا، وهو ما اعترضت

موقع ناجورني قره باخ

عليه سلطات أذربيجان الإقليمية، وبدأت حربٌ أهليةٌ خلفت قتلى وجرحى ولاجئين من الجانبين، الأرميني والأذربيجاني.

وساندت روسيا، التي ورثت الاتحاد السوفيتي السابق، أرمينيا في حربها ضد أذربيجان، وهو ما كان له الدور الرئيسي في الانتصار الذي حققته أرمينيا على أذربيجان، ولذلك قبلت أذربيجان في مايو من العام 1994م، اتفاقًا لوقف إطلاق النار، والجلوس إلى طاولة المفاوضات، بعد وساطةٍ من الاتحاد الأوروبي، وتولت فرنسا بمشاركة كل من الولايات المتحدة وروسيا المفاوضات التي عقدت في عاصمة روسيا البيضاء، مينسك.

عوائق التسوية:

بعد اعلان الهدنة – التي وصفها البعض بالهشة – منذ 16 عام لم يتغير كثيرا في مسية التفاوض لكن من الممكن وصفها بالتحرك للامام قليلا وبالرغم من الهدنة وجلسات التفاوض المتقطعة إلا اننا يمكن اعتبار الأزمة انها قابلة للانفجار خاصة أن جلسات التفاوض تعقد في جو محتقن بعض الشيء بين الطرفين «العلم الارميني تعززه الاسلحة مرفوع على 20 ٪ من اراض أذربيجان، الاخيرة ترفع من تسليحها حتى تستعد للحرب المحتملة – حسب وصف بعض مسئوليها، وساطة روسية تحركها مصلحتها وفقط، وهو ما يجعلنا اعتبار قره باخ بركان اوشك على الانفجار خاصة بعد حالة الاخفاق المتكرر لجلسات التباحث بين الطرفين.

لكن المتابع للقضية مؤخرا يجد أن طاولة المفاوضات عادت مجددا في موسكو خلال لقاء رؤساء البلدين بالاضافة للرئيس الروسي السابق ميدفيديف والذي خرج ببعض التطمينات لخصها الرئيس الأذري إلهام علييف بقوله«لقد بلغنا مرحلة حاسمة في حل النزاع، المفاوضات ستستكمل، والعديد من الاقتراحات المطروحة تلبي مصالح أذربيجان»، وهو ما اعتبره البعض تصريح دبلوماسي لايتطابق مع الواقع.

العملية التفاوضية:

والتي تتكون من قضية التفاوض «نزاع بين البلدين حول اقليم قره باخ»، وبناء على هذا يتم تحديد أهداف العملية التفاوضية بين البليدن والتي تنقسم إلى هدف عام:تسوية النزاع حول الاقليم تسوية سلمية، وأهداف مرحلية يتم تنفيذها خلال جلسات التفاوض ومنها انسحاب القوات الامينية من اراضي أذربيجان، تقديم تعويضات والذي يمكننا اعتباره الحد الأدني من العملية التفاوضية.

أطراف التفاوض:

يمكننا تصنيف هذا النوع من المفاوضات بالمتعدد الاطراف حيث يشترك فيه أطراف

بعد إعلان الهدنة - التي وصفها البعض بالهشة - منذ 16 عام لم يتغير كثيرا في مسيرة التفاوض لكن من الممكن وصفها بالتحرك للأمام قليلًا

مباشرة: أذربيجان وأرمينيا، أطراف دولية: مجموعة مينسك، اطراف غير مباشرة: روسيا وتركيا، أطراف خفية:جورجيا وإيران والاخيرة لا تظهر في اي مباحثات ولا تصدر اي تصريحات حول القضية لكنها شريك خفي واساسي في الأزمة خاصة أنها دولة جوار.

سياق التفاوض:

وهو كل ما يتعلق بالعملية التفاوضية من المشكلة «نزاع قره باخ» وأطراف التفاوض المباشرة والغير مباشرة – سبق ذكرها، والبيئة التي تعقد فيها جلسات التفاوض وهنا يمكننا وصفها «ببيئة محتقنة تغلب عليها لغة التعنت والسلاح»، ويسبق كل هذا «الخطاب التفاوضي لطرفي التفاوض» والذي ظهر خلال يخر تصريحات الجانبين وهو استعداد كل طرف باستخدام العنف والسلاح في حال فشل المفاوضات وهو ما أقلق المجتمع الدولي خاصة اطراف التفاوض الغير مباشرة والتي ينشغل اغلبها بمشكلات داخلية ربما تصرفها عن الاهتمام الاكبر بهذا الصراع، فتركيا منشغلة بهمومها الداخلية والاستمرار في استراتيجية «ZERO» مشكلات بالاضافة إلى المشكلة القبرصية والكردية، وروسيا تنشغل بما تصفه بالجماعات الانفصالية خاصة في دول اسيا الوسطى بالاضافة إلى حالة الاضطرابات والاحتجاجات التي تلت تولى فلاديمير بوتين رئاسة الكرملين، ناهيك عن تراجع دور منظمة مينسك في هذا الإطار لكثرة الملفات امامها، وهو ما يجعلنا نشير خلال الورقة للسياق الدولي في هذه العملية التفاوضية.

السياق الدولي للتفاوض:

المشكلة في مفاوضات قره باخ أن المتحكم في سيرها ومسارها هي أطراف غير مباشرة وهو ما يصنف في علم التفاوض «مفاوضات وفق عدد الاطراف المتفاوضة»، والتي تؤدي إلى طول العملية التفاوضية نظرا لتعدد التوجهات وتعدد المصالح وهو ما قد يؤدي في النهاية لوصول المفاوضات إلى طريق مسدود ينتهي بفشل المفاوضات، لذا كان السياق الدولي له أهمية كبيرة خلال أي عملية تفاوضية، والسياق الدولي الذي يخص أزمة قره باخ هو مشكلة انعدام الثقة في المجتمع الدولي والمنظمات الدولية وهو ما يترتب عليه عزوف أغلب الاطراف الدولية على تغليب غير مصلحتها، خاصة أن منطقة الصراع هذه – جنوب القوقاز – تعد منطقة تقاطع مصالح بين تركيا وروسيا والجمهورية الاسلامية الإيرانية، وبالنظر إلى تعامل هذه الاطراف الثلاث على الصعيد الدولي أو التدخل في العملية التفاوضية يمكننا التعرف عن قرب على السياق التفاوضي لأزمة قره باخ ويمكننا أن نلخصه في انه سياق متشابك متعدد المصالح ما يهدد بطول التفاوض وتشابكه.

البيئة الداخلية للتفاوض:

– كما ذكرنا من قبل أن الاطراف الغير مباشرة ربما تكون هي المتحكمة في ادارة العملية التفاوضية أكثر من اطرافها المباشرة ويمكننا اعتبار قضية قره ياخ ضمن نموذج «معضلة السجين» في علم المفاوضات والتي تذكر حول موضوع الثقة في الآخر، بل لانبالغ إذا اعتبرنا ان المفاوضات هنا ينطبق عليها نموذج معضلة الخائن وهي تشبه معضلة السجين لكن أسوأ ناتج هنا لكلا اللاعبين حين يتخلى التعاون بينما في معضلة السجين يذهب الأسوأ للمتخلى عن التعاون مع تعاون خصمه والناتج في الجبان غير مأمون لأنه سيكون لدى اللاعب الآخر حافز اختيار استراتيجية رفض الحل الوسط والإصرار على تحقيق أهدافه عند اختيار اللاعب الأول استراتيجية قبول طلبات الطرف الآخر.

المفاوضات بمعناها الصحيح لم تبدأ بعد خاصة أنها بدأت برؤساء الدول والذي دائما ما يتفاوضون حول السياسة العامة بعيدا عن التخصيص، وهو ما يتطلب مسارعة نقل الملف للمتخصصين لتبدأ جلسات التفاوض الفعلية

مباحثات متقطعة... ولا نتائج:

من خلال متابعة الجولات – التي اسميتها خلال الورقة جولات متقطعة نظرا لتباعد وقتها الزمني ولعدم وجود ما يبنى عليه في كل جلسة – نجد ان المفاوضات بمعناها الصحيح لم تبدا بعد خاصة أنها بدات برؤساء الدول والذي دائما ما يتفاوضون حول السياسة العامة بعيدا عن التخصص، وهو ما يتطلب مسارعة نقل الملف للمتخصصين لتبدا جلسات التفاوض الفعلية والتي ينبني عليها اتفاقيات، ولا يمكننا تقديم قراءة في المباحثات التي وقعت بين الطرفين حتى الان، حيث ان معظمها لقاءات تظهر فيها روسيا اكثر من البلدين وهو ما يسمى «شو اعلامي» اكثر منه مفاوضات لكن يمكننا القول ان اللقاءات بين رؤساء الدول برعاية طرف ثالث ربما يمكننا وصفه بإلقاء حجر في الماء الراكد وأنها ارهاصات لعملية تفاوضية حقيقة ربما تنبني عليها نتائج واتفاقيات.

أوراق التفاوض:

بالنسبة للأطراف المباشرة:

* **أذربيجان:** تلعب أذربيجان بورقة هامة جدا وهي «وحدة وسلامة أراضيها» وهي ورقة هامة وضاغطة في أي عملية تفاوضية لاتفاقها مع القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة وهو ما يجعل موقف باكو ثابت ومدعوم نوعا، أضف إلى ذلك استخدام لغة «التهجير» الذي مورس على الاذريين من قبل الأرمن وهو ما يلوح بورقة «التعويضات» كحد أدني للتفاوض أو مرحلة مستقبلية بعد نجاح مرحلة إجلاء القوات الأرمنية من فوق الـ«20 ٪» من الاراضي الأذرية.

* **أرمينيا:** تلعب بورقة «حق تقرير المصير»، والذي تؤكد أنه مطلب لابد للاستماع اليه خاصة انه يتفق ايضا مع

المواثيق الدولية، وهي تعرف –طبعا – ان تقرير المصير سيكون الانضمام لأرمينيا أو استقلال الاقليم شكليا ومن ثم تبعته أيضا لأرمينيا.

* **قره باخ:** الغريب جدا في العملية التفاوضية ان الاقليم نفسه لم يستمع اليه أحد ناهيك عن اشراكه في المباحثات، حيث يعتبره الاطراف المتفاوضة انه مجرد ارض للنزاع وهو ما يرفضه الاقليم الذي أعلن انه مستقل بذاته –لم ينال اعتراف أي دلة حتى الان – وبدأ يمارس ذلك فعليا من انتخاب رئيس له واختيار عاصمة وغيرها من الامور التي يحاول بها إثبات استقلاله وهذه هي ورقته التي ربما لو تم اشراكه في العملية التفاوضية لاستخدامها وكانت بدايته القوية التي سيطرحها ليصل بعد ذلك للحد الأدنى وهو استقلال مشروط.

أساليب الضغط:

– رغم ان الحالة التفاوضية هنا لايمكننا وصفها بالمستقرة حتى يمكننا تقييمها لكنها ايضا لايمكن اعتبارها مجرد مباحثات، لذا اساليب الضغط هنا ظهرت بشدة خلال العملية التفاوضية وهو ما قد يخرج المفاوضات من روحها التعاونية إلى مناوشات كلامية وتصريحات من الجانبين ربما يعتبرها البعض أوراق ضغط، ومن اساليب الضغط التي مارستها أذربيجان:إنها لن تقبل بأي حلول قبل خروج القوات الارمينية من اراضيها، كذلك تعمد نشر الأخبار العسكرية عنها وان الجيش في تقدم وهو رسالة غير مباشرة للطرف الآخر ان المواجهات المسلحة ممكنة وأن باكو تستعد بالفعل لذلك، خاصة أنها استفادت مؤخرا من وفرة الثروة النفطية وزادت الإنفاق العسكري بالاضافة إلى عدة تصريحات على لسان الرئيس الأذري إلهام علييف والذي اتهم أرمينيا بتعطيل مسيرة المفاوضات حول قره باغ وانها تنتهك المعايير الدولية وترفض تنفيذ قرارات مجلس الأمن الأربعة الداعية إلى انسحاب القوات الأرمنية من الأراضي الأذربيجانية، وقال علييف إنه من دون حل قضية إقليم قره باغ لا يمكن حل أي قضية أخرى في المنطقة، وهذا خطاب تفاوضي تظهر فيه نبرة التهديد كورقة ضغط، بالاضافة إلى استخدامها ورقة «القانون الدولي» في الضغط على أرمينيا بقولها مثلا في إحدى تصريحات مسئوليها: إن الخلاف يتعلق بحكم القانون والكرامة الوطنية، فوجود متمردين من الارمن المسلّحين أمر غير مقبول، ويقوي من هذه الورقة أن مجموعة الدول المستقلة «الكومونولث» والامم المتحدة ومؤتمر الامن والتعاون الاوربي (C.S.C.E) يدعمون وجهة النظر الاذرية مؤكدين أنه لا يمكن تغيير الحدود بالقوة.

* **أما أرمينيا** فهي تستخدم موقف مؤسساتها «البرلمان مثلا» الداعمة لضم الاقليم إلى أرمينيا بالاضافة إلى الضغط الشعبي عليها للتعامل بحزم أكثر من أذربيجان، اضف إلى ذلك بعض الاشاعات التي تطلقها أرمينيا على حكومة أذربيجان بأنها تريد طرد الارمن من اقليم «ناغورني قره باغ «وهو ما تنفيه الحكومة مطلقا، وآخر أوراق الضغط ما تصريح رئيس أرمينيا سركسيان (58 عاما)

لوكالة «رويترز» إن أذربيجان تحشد «كمية هائلة» من الأسلحة استعدادا لاستئناف القتال، مشددا على أن بلاده تريد التوصل إلى تسوية للصراع عبر التفاوض، وأنه لن يدخر جهدا لتحقيق ذلك، وخلص إلى أنه واثق بأنه سيتم حل النزاع في الإقليم، وقال إن لديه أملا في «ألا أرى أبدا دمج ناغورنو قره باغ في أذربيجان مرة أخرى، وهذا في حد ذاته نجاح كبير – حسب كلامه.

أطراف أخرى:

كما ذكرنا أن هذه المفاوضات يغلب عليها طابع «تعدد الاطراف» والذي يمكننا اعتبار بعضه ورقة ضغط لصالح طرف دون آخر وهو ما يجعلنا نسرد هنا –باختصار – بعض هذه الاطراف وموقف كل منها:

- ما يتعلق بدور «الكومونولث» فهو يتحاشى الدخول في عمق المشكلة بين أذربيجان وأرمينيا لحلّها، لان هناك الكثير من المشاكل المماثلة ضمن دول (الكومونولث) وضمن روسيا بالتحديد، حيث توجد مشاكل «كريميا»، (تاتارستان) ومناطق (الشيشان) و (الانغوش).
- إيران التي سعت إلى وقف اطلاق النار، وقد بررت الصحافة الغربية حركة ايران لتحقيق هذا الامر بوجود قرابة (15) مليون أذري على اراضيها بالاضافة إلى مليون ارمني، ومن جهة أخرى فان ايران تريد ابراز نواياها السلمية لبقية دول آسيا الوسطى والعالم.
- ثم جاءت تركيا التي حاولت اللعب على عامل اللغة والثقافة اللتين تربطانها بأذربيجان في حين لا يوجد لها أي رابط مع أرمينيا ومن ثم كانت المساعي التركية أحادية الجانب – حسب بعض المحللين.
- مجموعة الدول الاوربية والتي سعت إلى تنشيط الوساطة الروسية الكازاخستانية ولكن هذه المساعي لم تؤتِ ثمارها حتى الان.
- وتدخل روسيا كوسيط قوي وحقيقي – أغلب مباحثات التفاوض جرت في مدن روسية وبرعاية روسية – في يرى البعض ان موسكو تتعمد اطالة المفاوضات يرى آخرون –ومنهم سيرغي ماركيدونوف، رئيس قسم العلاقات القومية في المعهد الروسي للدراسات التحليلية السياسية والعسكرية – أن روسيا من مصلتحا حل الأزمة حيث هي في حاجة إلى أرمينيا كحليف تقليدي وكذلك فهي تحتاج إلى أذربيجان كبلد يحتل موقعًا جغرافيًا سياسيًا مهمًا، لا سيما وأن النجاح في تحقيق المصالحة بين أرمينيا وأذربيجان من شأنه أن يجعل الحوار الروسي الجورجي ضروريًا ولا مفر منه".

طرح وتعليق:

قدم باحث سياسي يسمى «جان غيراس» رؤية مقتضبة حول حل للأزمة ترعاه الولايات المتحدة، تمنح بموجبه أذربيجان معبرا إلى الجزء الآخر من أراضيها، في مقابل اعترافها باستقلال قره باخ – للتذكير أذربيجان لا ترفض الاعتراف باستقلاق

على كل الاطراف ان تضع المصلحة العامة أمامها بالاضافة إلى تفعيل سياسة «تقديم التنازلات» المتعارف عليها دوليا وخاصة في العملية التفاوضية

الاقليم لكن شريطة إجلاء القوات الارمينية من اراضيها والسماح بعودة الأذر المهجرين – وستكون تركيا أول المستفيدين من حل كهذا لأزمة قره باخ، فزوال الحاجز الأرميني سيسمح لها – عبر منطقة ناخشيفان – بتحقيق اتصالها مع أذربيجان والجمهوريات الناطقة بالتركية في آسيا الوسطى لتصبح قوة إقليمية كبيرة وقادرة على مواجهة التأثيرين الروسي والإيراني، من جهتها، تفقد أرمينيا عبر هذا الحل رابطها الجغرافي مع إيران وهو الرابط الذي سمح لها بتجاوز الحصار الذي فرضته عليها أنقرة وباكو ليختتم الكاتب رؤيته بقوله «بالطبع هذا الحل لا يحظى بتأييد موسكو وطهران.

* **وتعليقي** على هذا الطرح أن من الناحية العملية مستحيل كون الولايات المتحدة ليست فاعل أساسي في الأزمة حتى تقوم برعايته، الرعاية الغربية ستجعل روسيا تتدخل لتفسد أي مفاوضات حتى لاتكون في موقف دولي حرج كونها لم تستطع هي حل الأزمة رغم قربها من الطرفين، أطراف التفاوض لا يقبلون هذه الرعاية كونهم منغلقين اكثر على الغرب لايتحركون إلا بإشارة واستشار الكرملين للارتباط التاريخي والسياسي بينهما، وهذا ما يجعل الطرح السابق الذكر دربا من الخيال التفاوضي ربما أراد به كاتبه تحريك طاولة المفاوضات قليلا كون واشنطن تظهر في الأمر.

أطروحة لحل النزاع:

من خلال قراءتي لتاريخ الصراع ورصد للمباحثات المتقطعة بين الجانبين ودراستي لكثير من مواد التفاوض الدولي يمكنني أن أقدم أطروحة مختصرة جدا حول هذا النزاع الشائك من باب تفعيل الخيال التفاوضي وهي أن يعقد الطرفان مباحثات على مستويات أقل من رؤساء الدول في جو يسوده التعاون لا التنافس، حيث يصعب على رئيس أن قبل تحدي نظير له، فلابد من إعادة هيكلة فريق تفاوضي مكون مثلا من وزيري خارجية البلدين يساندهم وزراء آخرون – اقتصاد وثقافة وتعاون دولي – وبعض الناشطين في مجال حقوق الانسان لتبدأ مناقشات حول التعاون بين البلدين في مجال غير قره باخ، لتبدأ بعدها مشاورات حول تقديم أوراق لوضع تصور لحل نزاع الاقليم، لتعقد بعدها جلسات أولية –بدون رعاية دولية ايضا – لنقاش التصورات مع الحفاظ على جو التعاون وإشراك أطراف منصفة من الاقليم –يفضل أعضاء في البرلمان مستقلون وكتاب ومثقفون – ليتم بعدها وضع تصور للمسار التفاوضي وتقديمه للجهات الدولية التي يجب عليها أن تلتزم به وتقوم بدور الرعاية وفقط – حيث يعد التفاوض متعدد الأطراف من أصعب أنواع التفاوض – لذا

لابد من ابعاد الرعاية الدولية مؤقتا، بعدها تسير المفاوضات لتفعيل التصورات حول حل النزاع سلميا.

ويمكنني أن اقترح –حسب وجهة نظري المتواضعة – أن يكون الحل كالتالي:وضع خطة تدريجية لسحب القوات الأرمينية من أراضي أذربيجان ولتكن خطة على 3 سنوات مثلا – يتم التوافق عليها والتوقيع ايضا، يقابلها وضع خطة من قبل أذربيجان لعودة اللاجئين على فترات بضمانة ألا يسببوا كارثة للاقليم أو يكونوا بهدف إحداث توازن عرقي في الاقليم، يقابل الورقتين أن يلتزم الاقليم بالحيادية والاستقلالية وأن يكف عن الاستمرار في التصريحات بالانتماء لأرمينيا وأنه يريد الانضمام –وهذا شيء مستغرب كيف لإقليم مستقل يطلب ضمه لدولة أخرى – لتكن هذه اتفاقية أولية جدا بعدها يتم الانتقال إلى ملفات أخرى مثل ملف التعويضات وقوات حفظ السلام وتأمين الممرات بين البلدين وتشجيع الزيارات على عدة مستويات وليست رسمية وفقط، لتبدأ بعدها مراحل اخرى يمكنها خلال سنوات قليلة – ربما 5 سنوات – حل النزاع نهائيًا وضمان استقرار جنوب القوقاز وإفشال أي مخططات لإدخال المنطقة بأسرها في دوامة العنف الذي لا ينتهي.

خاتمة:

هذا النزاع – كما صنف – يعد أحد أكبر النزاعات في فترة التسعينيات ولا سبيل لتجاوزه أبدا دون حل وعلى كل الاطراف ان تضع المصلحة العامة أمامها بالاضافة إلى تفعيل سياسة «تقديم التنازلات» المتعارف عليها دوليا وخاصة في العملية التفاوضية لأن استمرار النزاع أكثر من ذلك معناه وجود بركان في منطقة مضطربة أساسا يمكنه ان ينفجر في أي وقت وفي أي وجه ولا حل لتسويته سلميا ودوليا إلا عن طريق التفاوض الفعال الذي تسبقه إرادة حقيقية لحل النزاع.

مراجع ومصادر:

– قناة روسيا اليوم، اخبار متنوعة وتقارير وحلقات نقاشية.
– موقع آسيا الوسطى للدراسات والابحاث.
– موقع أخبار العالم التركي.
– موقع الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي، بحث بعنوان "مهارات التفاوض".
– صحيفة أنباء موسكو.
– وكالة "رويترز"، أخبار وتقارير عن الأزمة.
– وكالة نوفوستي الروسية.
– وكالة دي برس.
– كتاب "مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي".. المؤلف : د. حسن محمد وجيه.
– كتاب "التفاوض للفوز.. الطريق إلى تحقيق أفضل الصفقات على الدوام!، المؤلف: جيم توماس، أبرز خبراء أمريكا في فن التفاوض،الكتاب من الكتب المترجمة لمكتبة جرير.
– محاضرات د/ أحمد السكري.. ألقيت على طلبة دبلوم المفاوضات الدولية.
– المفاوضات الدولية "دراسة لبعض جوانبها القانونية"، د/ أحمد أبو الوفا،دار النهضة العربية 2005.